مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTRE FOR STUDIES

تـقاريـــر

التصوف في إفريقيا الغربية والإعلام: خطاب قديم بوسائل عصرية

عبيد إميجن*

6 سبتمبر / أيلول 2018

Al Jazeera Centre for Studies
Tel: +974-44663454
jcforstudies@aljazeera.net
http://studies.aljazeera.net

ظلت العلاقات الكردية-الروسية رهينة بمعادلات موسكو في الشرق الأوسط (الجزيرة)

على مـــرّ الأزمان، أرست الطرق الصوفية في أغلب مناطق غرب إفريقيا قـــواعد تعاونية مناسبة وملائمة لمواجهة مصاعب الحياة وتعقيداتها، كما واكبت تلك الطرق التطـــورات والأحداث دُون أنْ تُرَغِّبُ أتباعـــها في الاستسلام للعُزلة والانطوائية داخل الزوايا أو من حول المقامات، بيد أن انتشار التصوف وانتعاشـــه في الوقت الحاضـــر قـــد مكَّنَ من مواجهة انعـــدام اليقيـــن الذي خلَّفه نشاط المدارس الفكرية والمذهبية الطارئة على المنطقة بما في ذلك ظاهرة الإسلام المتشـدد والمجموعات الجهادية المرتبطة به. وبِحكم مُيول الغالبية السـاحقة من الشـعوب الإفريقية إلى الارتباط بالطرق الصوفية وشيوخها وازدرائهم المُتأصِّل لكل ما يخالف تعاليـــم "مُرَابِط الزاوية"؛ حيث بات ذلك المرابط ملجأهم الآمن لممارسة شعائرهم الدينية في زمـن الظمأ الـروحي واستشراء التشدد الديني .

إلـــى جانب هـــذه العوامل، لا يقتـــصر الطـــابع الصوفـــي ومظاهـــره العملية في غرب إفريقيا على المواســـم الثقافية والمـــزارات، بل إن التدين الشعبي ومتانة أتباع التقاليد الصوفية أسهما في مسايـــرة واقـــع المجتمعات المعاصر رُوحًا وممارســـة؛ حيث أبـــدى أتباع الطرق الصوفية تجاوبًا متزايدًا مع التنظيمات الاجتماعية والنقابية ليكون أفرادها أبعـــد ما يكونون عـــــن حياة التقشف والـــــزهد ولبـــــس الصوف والجلوس في الخلوة، حتى اشتُهر عنهم قولهم: "الصُّوفي ابن وقته"(1). وبالإضـــافة إلى العلاقة القائمة بين القيم الصـــوفية ومؤسســـات المجتمع اتجهت الصـــفْوَةُ المتعلمة من أتباع الطرق الصـــوفية في غرب إفريقيا على نحو تدريجي إلى اســـتغلال وســـائل الإعلام لتمرير خطاباتها، بل وإلى التســـابُق على صناديق الاقتـــــراع كلما تم تنظيم استحقاق انتخابي حيث نجد الطرق الصوفية في غرب إفريقيا في واجهة المشهد الانتخابي، وهو نهج عـَزز مـن تمسك الصـوفـي الإفريقي بالحياة دون أن يُعلِّـق قلبه بها أو يميـل إلى مُغرياتها؛ مما يعني رسُوخ القيم الإسلامية الصوفية في نفوس الأفارقة.

تحتاج الأوســاط الشعبية دائمًا إلى دليل يرشدها سَوَاءَ السبيل وهو ما تجسده شخصية مُرابِط الطريقة وشيخها (2)، لذلك تتبارى وسـائل الإعلام من صـحف وقنوات في إضـفاء حالة من الاحترام والتودد على مثل هذه الشـخصـيات الدينية، بل إنها اعتـادت أيضًا على رفْـد ووسْم رجال التصوف؛ صغارًا وكبارًا، بحالة من المهابة والـوقار اللائـق بالمكانة الرُّوحية التي يحتلونها في نفوس أتباعهم ومريديهم. ومن منظور أكثر تجريبية فإن التشـــابك والحَذَر، والتحدي أحيانًا، هما أبرز

مظاهر علاقـــة هاتين السلطتين (التصوف والإعلام) ببعضهما البعض؛ فمنذ تسعينات القرن العشريـــن لعبت الصحافة المُستقلة الدور الأكبر في زعزعـة الثقـة لدى أتباع الطـرق الصوفية بشيوخهم. ولأن وسائل الإعلام بشتى أشكالها تبقى مجرد انعكاس لتعارضات المجتمع السياسية والدينية أو حتى الأخلاقية فـــإنه من ضمن الإشكالات التي قد تتبادر إلى ذهن المتابع يندرج التساؤل التالي: إلى أي مـــدى يمكن قياس الحضـــور الإعلامي للطرق الصوفية في منطقة الغرب الإفريقي؟ وكيف تتفاعل العلاقـــة بيـــن ما هو ديني وإعلامـــي فـــي هذه المنطقة؟ وهل تضمن الطرق الصوفية تسويق خطابها إعلاميًّا؟ وأي بديـــل إعلامـــي تتخذه الطرق الصـــوفية بجمهوريتي مالي والسنغال باعتبار هاتين الدولتين نماذج لمحتوى هذه الدراسـة، مع الإشارة إلى موريتانيا في بعض السياقات؟

الصوفية تَعْرِضُ ذاتها في جمهورية السنغال

شكَّلت المؤسسة الدينية والصوفية من خلال لاعبيها الأسس الرئيسية للذهنيات في المجتمعات الإفريقية وذلك بفعل قدرتها على ممارسة التوجيـه الروحي والأيديولوجي. وفي الأغلب الأعم سعى شيوخ الطرق الصوفية إلى إظهار أنفسهم على أنهم المدافعون الحقيقيـون عـن المعتقدات والشعائـر واللغات والأعراف الإفريقية الأصليـة أمام غـزو الثقافات والقيم الوافدة، وأنهم بذلك يُمثِّلون سلطة عليا مقدسة، وظل الخروج عليهم يُعَدُّ من المحرمات والمنكرات حتى وإن زجوا بأنفسهم في مياه السياسة العكرة، ويبدو أن هذا هو المبدأ الذي يقوم عليه كثير من الطرق الصوفية في غرب إفريقيا حتى اليوم .

في أحوال كهذه؛ فإن تنامي مستويات الثقافة السياسية والمبادرة الفردية داخل الأوساط الشعبية قـد يسهم في نشـوء التمرد والنفور من السـلوكيات السـائدة والمظاهر المُعتادة دون أن يحرم أتباع السـلط الروحية والصـوفية من اسـتلهام الأشـكال التعبيريـــة التـــي تتيحها إفرازات المدنية ومُجتمعات الحداثـــة بما في ذلك وسـائل الإعلام (الصـحف، والإذاعات، والتليفزيونات، والإعلام الجديد) وحتى قبل ظهور الفضـائيات بسنين طويلة وظف أتباع الطرق الصـوفية المواد المطبوعة وأشرطة الكاسيت في مختلف المناسبات. وفي الواقع، يبـدو أن الخارطة الإعلامية المعاصرة تضمن نشـر تعاليـم الزعماء الروحيين وحماية صورتهم الورديـــة لدى الجماهير بدول غرب إفريقيا وفي الخارج إلى جانب التصـــدي للمناوئين من "الأغيار" كالسلفية، وحركة الإخوان المسلمين، وحتى الأديان الأخرى كالمسيحية مثلًا. وفي هذه الحالـــة، فقد أسـست الطرق الصوفية لإعلام يتلاحـــم مع خياراتها التكتيكية والثقافية والسياسية ويتداول تفاسيـــرها ومواقفها من الشأن الوطني والإقليمي؛ لكنـــها خطوة جاءت لتختلط بأنماط الوعي الاجتماعي الأخرى وخاصة المتأثرة منها بالثقافـــة الديمقراطية وقيم العلمانية ضمن انتماءات وولاءات وهويات مدنية مستحدثة.

وحتى إذا تجاهلنا الروابط المدنية والمبادرات الإعلامية القائمة على خيار الأفراد الأحرار وغيرهم من الفاعلين في الحيـز العام؛ فإن انفتاح بعض التلامـــذة المتحمسين في كثير من الحالات على الوسائل الحديثة للاتصال أو لجوءهم إلى خلـــق مـــؤسسات إعلامية بديلة بهدف السيطـــرة على صـــورة زعماء الطرق الصوفية وإعادة تهذيب سلوكيات الإسلام الشعبي وربما المحافظة على التكامل بين الأفراد والأتباع، من خلال هذه النظرة تـأْمَلُ الصـــوفية أن تعكس عروضُ القنوات الإعلامية المختلفـة وشاشاتها ما ترغب فيه الطريقة، وأن تتغاضى في نفس الوقت عـن الصـور الهزيلة والمعلومات غيـر المُشرفـة وغيرها من المظاهر المُحال إلى الإعلام الحر معالجتها والتحقيق فيها في إطار الاستغراب أو الفضول والمقارنة مع الحضارات الأخرى.

ومن المثيـر للاهتمام تنـامي أدوار المرجعيات الصوفية وتـزايد سلطتها في الفضاء العام بكل من جمهورية مالي والسنغال وموريتانيا؛ تنظيـــرًا وتوظيفًا واستثـــمارًا، مع أهمية مراعاة الاختلاف الواضح في كيفية تسويق الخطاب الصوفي بين

النماذج الثلاثة والتفاوت الجلي على صعيد توظيف الأدوات الديمقراطية والوسائل المدنية ولواحقهما. بيْد أن التحولات الاجتماعية والديمقراطية في المنطقة قد مكَّنت من إيجاد العديد من المبادئ المهمة، ومن أبرزها: "وجود نظام حزبي تنافسي، وبناء مجتمع مدني، وتبنِّي نموذج اقتصاد السوق باعتباره الطريق الوحيد المؤدي للديمقراطية والسلام.(3)"

وعمليًّا، فإن مناخ الديمقراطية والتعددية السياسية بجمهورية السنغال قد عجَّل نحو دفع الحكومة الاشتراكية سنة 1998 إلى إنشاء أول سلطة تُعنى بضبط وتنظيم وسائل الإعلام تحت تسمية "المجلس الأعلى للسمعيات البصرية"، منهية بذلك احتكار الدولة للمنشورات الصحفية، بالتزامن مع هذه التجربة، أطلق رجل الأعمال السنغالي سيدي لَامِينْ أنْياسْ إذاعة "والْفَجْرِ"، التي جعلت بشكل غير مسبوق معارضة خيارات النظام الاشتراكي والتشكيك في مسارها عقيدة لها، في تلك الفترة كسرت هذه المحطة التي تتبع لمجموعة "وَالْفَجْرِ (4)(Walfadjri) "السمة المُميزة للصحافة المحلية حيث يُنظَر إليها، باعتبارها دعامة أساسية في هزيمة رئيس السنغال الأسبق، عبدو ضيوف، إبَّان انتخابات 2000.

وفي الوقت الراهن، تحافظ الطرق الصوفية بالسنغال على حضورها الإعلامي وتأثيرها الشعبي في ظل نموذج الإسلام الوُلْفِي(5) الذي يشكِّل الأساس الثقافي للاستثناء السنغالي. ويُعَدُّ هذا النموذج بمثابة الرافد الفكري والإطار المرجعي للمشاريع الإعلامية الطرُقية التي يحاول عبرها إعلاميون أو رجال أعمال ملء الفراغ المتروك للصحافة المستقلة، والتي باتت توجهاتها الليبرالية، في ضوء العديد من التجارب، عبئًا على القيم الصوفية وتحديًا لها. إن المتابع الحذر لهذا السياق لن يعدم أمثلة التوتر بين السلطة الرابعة والسلطة الدينية في السنغال، والتي ربما يكون آخرها ما أفْردثه المواقع الإلكترونية السنغالية، طيلة شهر نوفمبر/تشرين الثاني 2017، من مناقشات كُتَّاب المقالات والأعمدة وعناوين الصحف وتغريدات المدونين التي أعقبت اتهام الخليفة العام للطريقة التجانية، سِيرِينْ امْبَايْ سِي منصور، للصحافة حول تعمُّدها تحريف تصريحات أوردها في سياق حملات الانتخابات الرئاسية .(6)

تفتش الصحافة المُستقلة في النوايا وتتسقط وتتتبع أغلاط كبار المسؤولين وزلات الزعماء الدينيين، وقد لا تغفر للمتجاوزين تبعًا لمبدأ حرية التعبير التي أوجدتها أصلًا. وخلال عقد من الزمن جرى إطلاق قنوات صوفية بديلة بعضها عبر الإنترنت كحالة قناة تيفاوان (Tivaouane) على خدمة اليوتيوب (7)، والتي تُعرِّف نفسها على أنها قناة حاضرة التجانية بالسنغال، وأنها تختص بتسليط الضوء على البُعد التربوي والثقافي لتعاليم الحاج مالك سي (8). وفي نفس المجال، أطلق زعيم حاضرة تِيوَاوِين سِيرِين مُصطفى سِي عبر الأقمار الاصطناعية قناة المُرشد (Mourchid TV)التابعة لمجموعته الإعلامية، وذلك بغَرض الترويج لرسالة الحاجْ مَالَكْ سِي التربوية وطريقته التجانية، وعلى هذا المنوال تكثر إذاعيًّا وإلكترونيًّا نماذج "الإعلام المُتصوف" والتي حددت مهمتها الأساسية في حدود بث جلسات الأوراد وصياغة الأحداث والأخبار وفقًا لرؤية تقتصر على "عرض الذات الصوفية ."

التوتر بين الإعلام والقادة الصُوفيين: الطريقة المريدية نموذجًا

مما لا جدال فيه بين الدارسين والباحثين أن دخول الإسلام إلى بلاد السنغال وانتشاره فيها، أو بالأحرى "أسلمتها"، قد تمت بطريقة سلمية خلافًا لكثير من مناطق العالم الإسلامي، وهي "أسْلَمَة" تمت -كما يقول معظم الباحثين والدارسين السنغاليين- بفضل جهود مشتركة مترامية الأطراف بين الرحَّالين والتجار المسلمين من العرب وغيرهم من ساكنة المجال الصحراوي، فكان من بين هؤلاء من جاء بخلفيته الصوفية على اختلاف طرقها وفلسفاتها وأورادها.

جيلٌ بعد جيل يوجد لـــدى القبائل السنغالية انجـــذاب أصيـــل إلى الأشعرية عقيدةً، والمذهب المالكي فقهًا، وميل قوي لنشر الصوفية المُمارساتية، كما طوَّر مشايخُ أهْـــلِ هذه الأرض تاريخيًّا وابتكـــروا لأنفسهم من المدارس والمناهج والطرائـــق المحلية في التصوف ما يروي ظمأ مجتمعاتهم الإيماني ويوســـع من إسهاماتهم في مواجهة التحديات التاريخية والثقافية في مناطق غـــرب إفريقيا. ومن بيـــن المدارس السنغالية المعروفـــة في التصوف يجري ذكر اللَايِينِيَةُ (layêniyya) التي أرسى قـــواعدها سِيدْنَا إيمامو الله تِيَاو (1843- 1909)، والمُريدِيـــة (Mourides) التـــي أسسها الشيْخ أحمَدُو بَمْبا أمْباكيه (1853-1927)، وكجزء من هـــــذه الورقة؛ سَـــنُركِزُ على الحضـــور الإعلامي للأخيرة باعتبارها إحدى أهم وأشهـــر الطرق الصوفية "المحلية" التي نشأت بالسنغال دون أن تكون متأتيـــة أو متفرعة عـــن طريقة من الطرق الصوفية المعروفـــة كما يشيع عند الباحثين السنغاليين.

لا يمكن الحديث عن المُريدية في السـنغال دون الوقوف على الأدوار الوطنية الكبرى لمؤسـسـها الشـيخ أحمَدُو بَمْبَا أمْباكيه وخاصـــة ما يتعلـق منها بمواجهة الاستعمار الفرنسي وإرساليات الكنيسة الكاثُوليكية حيث تُشير الباحثة أدَرْيَانَا بَيْغَا إلى أنه يعود له الفضـــل في وضـــع "الأسـس الثقافية لمقاومة أيديولوجية بحتة" في السـنغال بعدما أطلق على نفســـــــه لقب "خادم الإسـلام"(9) ومن الطبيعي أن يتصـــدى بقوة للحكم الفرنســـي وتياراته الثقافية الاسـتعمارية، فالشـيخ أحمدو بمبا إلى جانب البعد الروحي كان يُجسد رَمـزية متزايدة في مواجهـة ".. السلطـة الاستعمارية في كل مكان وكـان معلمًا بارزًا ضـد خَطَر التغْريب.." المُـــحْدِقِ حينها بالمجتمع السنغالي بحسب الباحثة أدَرْيَانَا. وبإمكان الباحث المنصف أن يرى أثر تعاليـــم خلفاء الطريقـــة من حيث قوة الآصرة التي تجمع الأتباع والمؤمنين والذين تشكِّل الأوساط الوُلْفيَة عمودهم الفقـــري بالنظر إلى كونها المجموعة العرقية الرئيسية في السنغال.

ومن أجل رفع منسوب الشعور الوطني لدى أهم مكونات الشعب السنغالي، بادَرت الحكُومات منذ قيام الدولة إلى الاستلهام من شخصية الشيخ أحمَدُو بَمْبَا أمْبَاكيه، فقد كان رئيس الجمهوريـــة، ليوبُولْد سيـــدار سينْغُور (مسيحي كاثوليكي)، قد قرر حينذاك أن يأخذ مبادرة التقرب من البقاع الصوفية المُقدســـة لدى مُسلمي السنغال وخاصـــة في مدينة طُوبَا، وقد رحَّب به مُزارعو الفُول السُوداني وتلامـذة الشيخ أحمَدو بمبا بحماس. في أعقاب تلك الخطوة، زادت تغذية العلاقة القائمة بين الدولة العلمانية الوليدة وبين الطرق الصـــوفية في الســـنغال وتنافس رؤســـاء الجمهورية على اســـتعطاف شـــيوخ وأتباع الطريقة المُريدِية، وبذلك أرسـى هؤلاء أعرافًا وتقاليـــدَ بروتوكولية حرصـوا من خلالها على المشـاركة في زيارة موسـم "مَاكالْ طُوبَا (Magal de Touba) "الذي يكرّس الاحتفال بذكرى عودة الشـيخ أحمد بمبا من منفاه في الغابون التي كانت في 18 من صـفر من كل سـنة قمرية. وينغرس الاعتقـــاد لدى أتباع هذه الطريقة المريدية بوُجود طاقة روحية وصـوفية للشـيخ أحمَدُو بَمْبا لا تفارق ضـريحه بمدينة طُوبَا. ومما يسـترعي الانتباه أن مؤسـس المُريدية ظل يتعبـــد في هذه البقعة ويربي تلامذته قبـــل تعرضه للنفي والإبعاد إلى الغابـــون سنة 1895 بقرار إداري اتخذته السلطات الاستعمارية الفرنسية ضـــده، وحتى اللحظة لم يفرط أتباعه في القواعد الروحية التي أرســـاها الشـــيخ أحمدو بمبا انطلاقًا من مدينة طُوبا والتي يَقْصُـــدها ما بين أربعة إلى خَمسـة ملايين زائر مُـــريدِي كل عام للمشـاركة في موسم " مَاكالْ طُوبَا" باعتباره أحد أهم المواسم الصوفية في العالم الإسلامي ، وفي خضم هذه الأجواء تتحول المُريدية إلى صانعة لأكبـــر حدث إخباري تترصده عدسات القنوات وأقلام قادة الرأي .(10)

خلال هذه الحقبة الطويلة وما يميزها من استثمار مفيـــدٍ وصالحٍ ومريحٍ لكلا الطرفين، زاد رصـــد وسائل الإعلام لتأثير المُريدِية والطرق الصوفية بعامة في المشهد السياسي السنغالي وفـــق ديناميكية متوارثـــة من خليفة إلى آخر، ومن جسم

سياسي إلى الذي يخلفه، وكانت بالأحرى علاقة تؤطِّـــر الهيـــاج الديني لدى الشباب السنغالي وتوجهه بعيدًا وفق ملامح إعلامية تتميز بتلقين الناس بما يريده قادتهم .

بعد القانون رقم 1992/57 الصادر بتاريخ الثالث من سبتمبر/أيلول 1992 والقاضي بتوسيع مساحة وسائل الإعلام والتحول إلى البث الرقمي ودعم وتعزيز التعددية السمعية البصرية في السنغال، كان لافتًا ومتوقعًا أن تتعرض السياسات الإعلامية السابقة للاختبار، وأن تمهد إجازة هذا النص القانوني لتسليط الضوء على عمليات الاستقطاب من قبل الزعماء الدينيين، ومقارنة ذلك بالواقـــع الاجتماعي من قبل لاعبين جدد في وسائل الإعلام المُستقلة. وإذا كان من النادر الإصغاء إلى الأثر الذي تركته الأصوات النقديـــة والاعتراضية في أوقات سابقة فإن بُروز هيئات صحفية تدَّعي الاستقلالية قـــد ساعـــد على صياغة العديد من النقاشات بشأن المدى الحقيقي لحـــرية التعبير في السنغال، وذلك على ضوء العديد من مظاهر التـوتر القائمة مـع القادة وأتباع الطـرق الصوفية مما جعلنا نتساءل عن معنى وأثـر سلطة القانون في بلد يقوم فيه الزعماء الدينيون بإنصـاف أنفسهم. وهل الصـحفي المستقل جاهز للاختيار بين حرية الإعلام والموضـوعية والحقيقة التي تمليها أخلاقيات المهنة، أو التوافـقات الاجتماعية التي تحافظ المرجعيات الدينية على عدم المساس بها؟ وهل يستطيع إرثُ التقاليد ووطأتُها أن يفرضا على الصحافة الانحناء أمامها؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة من شأنها تسليط الضوء على حقيقة الطيف الإعلامي العابر للحدود في جمهورية السنغال كنموذج.

عمليًّا، أسـهمت الأجندة التحريرية لكل حالة إعلامية في رفع منسـوب التوتر مع المتحمسـين من أتباع الطرق الصـوفية؛ وتحديدًا المُريدين منهم، غير ذلك تتعدد وتتباين الاختلافات العميقة بين كل حالة عـن الأخرى، وعلى ذات المنوال انفردت صحيفة "سيد كوتيديان" بمقالة افتتاحية وقَّعها رئيـــس التحرير، في 19 سبتمبر/أيلول 1996، ليتساءل ضمنها عـــن الأساس القانوني الذي يدفع الخليفة العام للطريقة المُريدية في طوبا لإغـلاق 35 مدرسـة عُمومية "علمانية" بحجة أنها لا تتناسب والطابع الديني لمدينة طوبا؛ وهكذا أخذ الصحفي على عاتقه مسؤولية فتـح الموضوع للنقاش معيدًا التساؤل عمَّا إذا كانت مدينة طوبا خارج دائرة مسـؤولية الدولة والتقطيع الإداري للسنغال(11). ومن الجدير ذكره أن العواقب الناجمة عن عدم انصياع كُتَّاب الافتتاحيات أو المقالات أو محرري التقارير الإذاعية لسلطة الخليفة العام أو المُرَابط المرجعي قـــد لا تجد مسوغًا إيجابيًّا لدى المتعصبين من الأتباع؛ ففي أغسطس/آب 1999، قام هـــؤلاء بحـــرق منـــزل صحفي يعمل مع صحيفة "لوماتان(Le Matin) "، (وهو سياسي سنغالي ومُنتخب حاليًّا) بسبب مقال عنونه بـــ"المُرَابِط الدنيوي" حيث لم يكتفِ هؤلاء بالهجوم على المعني بل إنهم اختطفوا شقيقه واتخذوه رهينة مقابل الاعتذار. وهنا، تظهر هشاشـــة التضامن داخل الجسم الصحفي، فخوفًا من الانتقام المُحتمل لم تتجرأ سوى صحيفة واحدة على إعلان تضامنها المُحتشم، وذلك على ضـوء استغراب مُحررها لما جـــرى تحت عنوان "في أي بلد نحن حقًّا؟"(12). وفي أحيان كثيـــرة، تسـهم المُناكفات والمزاحمة بين الطرق الصـوفية ذاتها في تعرض الصـحافة المتصـوفة أو الهجينة -كما يجب أن يقال- للمضـايقة وكان ذلك قد حدث في سبتمبر/أيلول 2009 مع صحيفة ولفجر (Walfadjri) السابق ذكرها .

لا نستطيع أن نتـــكلم عن الإعلام والمُريدية؛ من دون أن نقول: إن السنغال بتركيبته الإثنية، والدينية والمذهبية، يعتبر منذ عقـود نموذجًا رائدًا في مجال التعددية في إفريقيا، ومن الطبيعي في سياقات سيـاسية كهذه أن تتمكـن الطرق المريدية من عرض ذاتها وتقديم ما ترغبُ مرجعياتها في مشاهدته أو سماعه من الأحداث والمتابعات وحلقات الذكـــر الديني. في الحالة المُريدية يعتمـد الإعلام المتصوف على عنصـرين أساسيين؛ أولهما: تجميل الذات إلى أبعد حد ممكن، وثانيهما: السعي إلى

تحطيم المنافسة والتقليل من التوتر مع الإعلاميين، وبهذا المنطق فإعلام المُريدية بشتى أشكاله من قنوات فضائية ومن مواقع إلكترونية، يسهم من جانبه في التعبير عن ميلاد "إعلام مُتصَوف" كما ذكرنا سابقًا .

ومن المهم فهم أسباب ظهور القنوات التليفزيونية التي أنشأها أتباع المُريدية وما إذا كانت تعبيرًا عن حاجة ماسَّة لمنابر تعكس أصداء الطريقة وتنشر تعاليمها أم أن السياق الديمقراطي المفتوح يفرض وجودًا إعلاميًّا موازيًا أم أنه تعبير عن الظواهر المدنية الناشئة في ظل تطور إعلامي متسارع؟

تعبِّر ظاهرة القنوات الإعلامية التي أنشأها أتباع المُريدية من رجال أعمال وفنانين سنغاليين عن حالة إعلامية جديدة لها خطها الصوفي الواضح، فبالإضافة إلى الإذاعات المحلية، مثل: "لامب فال إف إم (LAMP FALL FM) "وإذاعة جامعة الشيخ أحْمَدُو بَمْبَا (UCAB FM) التابعة لمرجعية سِيرِينْ مَامُور امْبَاكِي، وغيرهما، فإن هنالك عددًا آخر من الفضائيات مُريدية المحتوى والملكية، ومن بينها :

- قناة طُوبَا (Touba TV): وقد جرى إطلاقها يوم الجمعة، 29 يناير/كانون الثاني 2010، من طرف السيد امْبَاكي يُو فاي لتبدأ إرسالها عبر القمر الصناعي الإفريقي على الترددW4-12.437 14 GHz، وتستخدم اللغة الوُلُفِية أساسًا في برامجها المتنوعة بالإضافة إلى اللغة الفرنسية.
- قناة لاَمْب فَالْ (Lamp Fall TV): وقد تم إطلاقها يوم الجمعة، 28 أكتوبر/تشرين الأول 2011، لتُبثَّ انطلاقًا من العاصمة داكار على القمر الصناعي "كانال 53" على التردد 727، وكانت انطلاقتها تحت إشراف مباشر من الخليفة العام للمُريديَة سِيرِين سيدي المُختَار امْبَاكِي (توفي في يناير/كانون الثاني 2018)، ويديرها رجل الأعمال، السيد علي تُيُونْ.
- قناة المُريدية (Al Mouridiyyah TV): وقد بدأت القناة البث في 20 أبريل/نيسان 2014 وهي تابعة لحزب الترقية، وهو في الأساس منظمة طلابية أسسها بعض طلاب جامعة داكار، في يناير/كانون الثاني 1976، وتضم الآن بضعة آلاف من الأعضاء الناشطين في جميع أنحاء السنغال .

لقد كان لظهور الفضائيات المُريدية على اختلاف ألوانها وتعدد أسمائها الأثر البالغ في شدِّ الأتباع إلى جوهر وتعاليم المُعلم الرُّوحي (المرابط)، كما عكست التقارير التليفزيونية والتصريحات الإعلامية والبرامج التربوية ميل حاضرة طُوبا إلى رسم معالم مجتمع مُريدي أصيل قائم على الترابط الأخوي وعلى التكافل والتضامن الاجتماعي والسياسي .

تقاطع السلطة الرابعة والقوى الصوفية

إذا كانت الفرادة حاصلة في غرب إفريقيا فإن التباين والتقابل يبقى واردًا أيضًا كلما أمعن الدارس في الأدوار الإعلامية للمدارس الصوفية بجمهورية مالي المجاورة، وهو بلدٌ تتقلب مجتمعاته المسلمة بين مَحَاريب عدة مذاهب من بينها ما هو سلفي وما هو سني إلى جانب الطرق الصوفية؛ حيث يتبرك الماليون بالشرفاء أو آل البيت، فضلًا عن أصحاب الدرجة والمقام الظاهر والباطن وخاصة في حواضر كتمبكتو وأنْيُورْ الساحل أو غاوْ، وغيرها من الحواضر العلمية التي تسربت إليها أعداد وافرة من المَحَاظِر وزوايا الشاذلية والتجانية والقادرية؛ وينبغي أن نشير هنا إلى أن الصوفيةَ لعبت أدوارًا حاسمة في تاريخ بلاد السودان (مالي حاليًّا) مما كان له بالغ الأثر في إبقاء جذوة الإسلام مُتقدة؛ ليس في هذه الربوع فحسب بل في معظم أنحاء إفريقيا جنوب الصحراء حتى اليوم. ومن الأدوار الاجتماعية الواضحة التي اضطلع بها مُريدو وأتباع شيوخ وزعماء الطرق الصوفية تأمين حصة معتبرة من المنابر الإعلامية (المرئي والمسموع والإلكتروني) في مسعى يهدف إلى بث المعارف الإسلامية واختراق الحواجز القبلية والإثنية المزيفة على حد وصف شيوخ الصوفية .

شكَّل تحرير الفضاء السمعي البصري في مالي فرصة، لا تُعوَّض بالنسبة لمختلف التيارات والمذاهب الإسلامية لمخاطبة القرى والأرياف إلى جانب المدن على موجات "إف إم"، ومن خلال الأقمار الصناعية، ولقد مكَّنت هذه الحرية الخاضعة

للقانون من اختراق بعض الجماعات لحواجز المذهب المالكي السائد كما استهدفت المجتمعات ذات المرجعية الصوفية، وتجسد ذلك في توغل إعلام المذاهب الشيعية داخل الأوساط الشعبية حيث أمكن للشيخ سعيد محمدو شُعالا بيايا حيدرة(13) إنشاء أول قناة محلية تهدف إلى نشر معارف أهل البيت وترسيخ الأسس العقدية لدى الشيعة بجمهورية مالي وهي قناة "الزهراء تي في (Zahra TV) "وإذاعتها اللتان تم إغلاقُهما لاحقًا(14). ومع التوسع الذي عرفته وسائل الإعلام بشكل عام في الأعوام الأخيرة، وارتفاع عدد الفضائيات إلى أكثر من 32 قناة تليفزيونية مُستقلة بما فيها بعض القنوات غير التجارية، استأثرت القنوات المذهبية والسلفية بالقسط الأكبر من الطيف الإعلامي المتاح، فنجد على سبيل الذكر قناة السنة (SUNA TV) وغيرها كثير من وسائل الإعلام التي تدل على الارتباط بالداعمين الماليين في الدول الإسلامية الغنية.

في أعقاب أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001، تقوَّى اتجاه إفريقي يدعو للعودة إلى الإسلام الشعبي الصوفي مبرِّرًا رؤيته بضرورة الوقوف في وجه التشدد الإسلامي، وقد بلغ هذا الاتجاهُ أشده بعد انهيار الدولة المالية سنة 2011 وسقوط مؤسساتها وخاصة في تمبكتو بشمال مالي حيث اعتبرت الطرق الصوفية أن المعاهد والمدارس السعودية كانت بمثابة الذراع المسؤولة عن الترويج الإعلامي لنماذج "الانحراف الفكري والديني" هذه وعن قيام الجماعات الإسلامية المتشددة لاحقًا بكل ما قامت به من اختطاف وتقتيل مما يعتبر سابقة في تاريخ منطقة الساحل الإفريقي .

بالنسبة للماليين، كان بروز حركة أنصار الدين الصوفية حافزًا للمواجهة الروحية والتربوية والثقافية مع خريجي المعاهد السلفية (الوهابية) "نظرًا لاحتواء مناهج تلك المعاهد على كلام يمس بالحركات والطرق الصوفية التي هي عماد الإسلام في إفريقيا"(15) في هذه الأثناء سيكتشف الماليون أن ثلاثين سنة من هشاشة الرقابة على النشاط المتشدد للحركات الجهادية قد تكفلت بتهيئة الأرضية والبيئة العقدية الحاضنة للفيالق التي اجتاحت المنطقة بأسرها لاحقًا.

في ظل محاولات ومساع جديدة قامت بها الدولة لاحتواء مشايخ الزوايا والطرق الصوفية وتطويعها نرجع، مرة أخرى إلى حركة أنصار الدين الصوفية "المتمردة"، وهي ليست حركة أنصار الدين الجهادية، باعتبارها من أبرز الطرق الصوفية في مالي وأكثرها قبولًا في بلدان غرب إفريقيا وجنوب الصحراء وأوسعها صيتًا داخل الأوساط الشرقية والوسطى من مالي بفضل نشاط مؤسسها، الشريف الشيخ مداني حَيْدرَة، الذي يتمتع بنفوذ روحي وتجاري متميز سمح له بقيادة آخر الطرق الصوفية الناشئة في مالي و"أكثرها شعبية وإثارة للجدل على حد سواء، كما تُعَدُّ واحدة من الركائز الرئيسية للتحول الاجتماعي في مالي (..) حيث يُنظر إليها كمنبر أساسي للإصلاح الاجتماعي والانتقادات الموجهة للدولة، ولكنها أيضًا تقود ما يُسمى بـ"السُنَّة الإصلاحية" وتحضِّر نفسها لتكون بديلًا إسلاميًّا رئيسيًّا في المنطقة"(16). وكما هو معروف، فإن حركة أنصار الدين لم تكن لتنتشر وتتوسع في مالي لولا السند الإعلامي الذي تضطلع به قناة "شريفلا " (Cherifla TV)، وهي قناة تليفزيونية مثيرة للاهتمام وتُبث من مدينة كوريكلو في ولاية كاتي على بعد 15 كم من العاصمة (باماكو)، وهي المملوكة لمؤسس طريقة أنصار الدين الصوفية وهي لا تكف عن وصف أتباع السلفية المتشددة بخوارج العصر الجدد .

وقد برَّرت السلطات المَالية انفتاحها الإعلامي أمام المدارس الصوفية المحلية بكونه يندرج في إطار سد ثغرات الأمن الثقافي وإشباع الاحتياجات الروحية والقومية المتزايدة لدى المَاليين أنفسهم وذلك "على ضوء غزو مئات القنوات التليفزيونية الأجنبية لبلادنا، وهو ما يوجب علينا نحن الماليين البرهنة على جدارتنا في الاحتفاظ بمكانتنا ضمن هذا

الفضاء"(17). وفي هذا التصريح تظهر طبيعة الاضطراب في الأمن الثقافي لدى الماليين، وكون الأوساط الشعبية كانت تعيش عالة على منتجات الفضـــائيات الأجنبية المختلفة دون أن تســـهم النخبة في نشـــر الثقافات المحلية ووحدة الدولة في العقيدة والأخلاق والقيم والموازين وغيرها من الأدوار التي يمكن أن يبشـــر بها الطيف الإعلامي في جمهورية مالي إذا ما أحسـن القائمون عليه اسـتعمالها واسـتغلالها، وكانوا على دراية واسـعة ومعرفة جيدة بالتقنيات العالية والتطور الكبير في تكنولوجيا الأقمار الصناعية. ويلاحظ أنه بخلاف النموذج السنغالي فإن الزوايا التقليدية والحواضر الصوفية في جمهورية مالي لـــم تتأقلـــم بعـــد مع الطفرة في مجال الفضائيات والنماذج الإعلامية المتاحة بالرغـــم من تحرير المجال البصري والسمعي منذ العام 2014 .

على نطـــاق واسع عرضت وسائل الإعلام المحلية، في يونيو/حزيران 2018، صـــورة لرجل ستيني يرتدي "دَرَّاعَتَهُ" البيضاء وهو يجلس على هيئة قـــرفصـــاء، ثـم يضع يديـه على صدره ويطرق برأسه إطراقة قبل أن يغمض عينيه، حيث التقطت وكالات الأنباء الصورة في باحة مسجـــد سانكوري (Sankoré) بمدينة تمبكتو ذات الـــثلاثة وثلاثين مقامًا مباركًا ووليًّا صـالحًا، وكان هذا السـتينـــي في لحظـــة تجل واسـتسـلام وهو في حضـــــرة إمام مسـجد جنقريبير (Djigareyber)وإمام مسجد سانكوري ونظيرهما بمسجد الباجيندي(Badjindé) ، وهـــم القـــادريون (طريقة المحيطين بالـزائر الـذي لـم يكن سـوى رئيـس جمهورية مالي إبراهيم بزبر كيتا المرشـح لخلافـة نفسه)(18)، وكان هؤلاء الشـيوخ الظاهرون في الصـورة التي انتشـرت بشـكل واسـع يُدَوِّرُونَ سـبحاتِهم ويتلون التمائم والأدعية التي أورثها إياهم الشيوخ المؤسسون حيث يسود الاعتقاد لدى مشايخ ومريدي تمبكتو بقدرة شيخ الطريقة حيًّا كان أو ميتًا على أن ينقذ ويغيث ويشفع لمن يتوسل به، وهم في ذلك المسعى يعتمدون على تلاوة أوراد الطريقة والأذكـــار كما علمهم إياها الأولياء السابقون، أما إذا أُلْبِسَ الزائر عمامة المقـام الأعلـى فإن الأمل بفـوزه أمام غرمائه وحساده متوقعًا(19) .

الإذاعات الريفية تمتص حدة التوترات المذهبية

يبقى جرح مدينة تمبكتو شـاهدًا على تجاوز المشـاحنات الفكرية بين السـلفية والصـوفية إلى المواجهات المسـلحة، وفي الآن ذاته تكشف الأحداث -كما جرت- عن مآلات تيارات الفكر الإسلامي في إفريقيا بشقيها؛ النقلي والعقلي، الظاهري والباطني، التصوف الطُرقي ونماذج السلفيـة الجهادية وهو ما تبدَّى في لجوء الأخيرة إلى هتك حرمات مشايخ الصوفية والهجوم على الأضرحة وتكسيـــر باب جامع سيدي يحيى الكائن بالجزء الجنوبي من مدينة تمبكتو الأثريـــة، كما تناقلت وكالات الأنباء مشاهـــد التمْبكْتِيِينَ وهم في لحظة انهيار وأسى على خلفية هدم أضرحة "الأولياء الصالحين" ومزارات المنطقة التي يغلب عليها الانتماء للطريقة القادرية.

ضمن هذا السياق المتشابك عقديًّا والمتأزم إثنيًّا وقبليًّا، ركـــزت محطات الراديو التي سبق إسكاتها من قبل حركة أنصار الدين الجهادية الموسومة بالإرهاب على البرامج الحوارية بهدف امتصاص حـدة التوتر المجتمعي والطائفي وعلى ترويـج مـقاربـة "الأمن الثقافي" التي تلاقي دعـم زعماء الطرق الصوفية الموالين لحكومة باماكو المركـزية حيث وجـد الطرفـان أن الكلام المنقول عبر الإعلام المســموع يتيح مُميزات حيويـة ويقرّب المحتوى من متنـاول جميع الفئـات والطبقـات الاجتماعية. في هذه الأثناء، غدت الإذاعات المحلية ذات الترددات القصـيرة والمتوسـطة بمثابة مشـاريع رائدة لمواجهة حمـلات التـأجيج العـرقي التي لا ينقطـع ضجيجها؛ وذلك على غرار إذاعـة بوكْتو (Radio Bouctou) وإذاعـة العَافية (Radio Lafia) إلى جانب إسـهام إذاعـــــة الوحدة الحموية التجانية إف إم (Radio Unité Hamahouya Tidjaniya Fm)المقربـــة من الزاوية الحموية بحـــاضرة أنيورُو الساحل، وكل هذه الوسائل

المسموعة تتخـــذ من قـــادة الرأي (زعماء الطريقة التجانية الحموية، والوجهاء والسياسيين..)، كل منهم في الإطار الذي ينشط فيـه، وسيلة للتأثير في المستمعين الذين يغلب عليهم عمومًا، الطابع الريفي.

مثَّلت حاضـــرة أنيورو الساحل أحد أهم مواطن الالتقاء بين أتباع الصوفية في كلٍّ من موريتانيا ومالي وذلك نظـــرًا لإرثها الحضـاري المرتبط بنشـأة الزاوية الحموية المتفرعة عن الطريقة التجانية، وبسـبب جغرافيتها السـياسـية حيث تشـكِّل نقطة للتلاقح الروحي والإثني بين عنـــاصر مجتمع البيضان (العرب) والقبائل الزنجية المُتعايشة داخل مجـــالها مُذْ برز الشيخ حماه الله جامعًا الانتماء لتلك الأعـراق مجتمعة؛ كان والـده بِيضَـانِيًّا عَـربيًّا أمَّا أمه فكانت بُولاريـة زَنجية .(20)

مع ظهور الدولة الحديثة، عززت مدينة أنْيُورُو الساحل المالية تدريجيًّا من حُضورها الصوفي والسياسي في المنطقة وذلك قبل أن تظهر في الوقت الحاضـر أصـــــداء شـرعية خليفة الطريقة، الشـيخ محمـــــدُو ولد الشـيخ حمَاهُ الله، في نواكشـوط (موريتانيا) قبل باماكو (مالي) حيث تتُوق وسائل الإعلام في الدولتين على نحو مستمر للتعرف على تطلعاتـــه السياسية أو انحيازاته تجاه الحكوماتِ، وخياراته أثناء احتدام المعارك السـياسـية داخل كل بلد على حدة أو معارضـــته من عدمها لقادة دول المنطقة.(21)

خاتمة

مـــن الصحيح أن "الإعلام المُتصوف" يمكنه أن يلعب مجموعة من الأدوار التربوية والروحية وذلك على ضـــوء النـماذجِ والتجاربِ الإعلامية التي يسـتقيها هذا التقرير من كل من جمهورية السـنغال ومالي وإلى حد ما من موريتانيا حيث اتجهت الطـرق الصوفية داخل هذه المنطقة إلى الاستثمار في ورقـة الإعلام وتقنياته الحديثة بُغية التأثيـر في وجهات نظـر صنَّاع القرار والأفراد والمجموعات السياسية والدينية الأخرى التي تؤرقها منذ عقود .

من الصعب، بالنسبة للدارسين الحصول على معلومات حول مصادر تمويل القنوات التليفزيونية التابعة للطرق الصوفية أو الإيرادات المالية لكن شاشـات القنوات تمتلئ عـــــادة بالعروض الإعلانية القادمة من شركات الهاتف المحمول، والإشـهار والإعلان، وخصـومات الإعلانات عبر البـــــريد الصـوتي ويُعتقد أن البعض منها يركـــــز على تبرعات أنصـار الطريق الصوفية وأتباعها فيما يتميـز البعض الآخر بالعروض التجارية شأن شركـة مالي فيزيوه (Malivision) التي تُـوزع في جمهورية مالي باقات الأقمار الصـناعية مقابل الاشـتراكات الشـهرية التي يذهب ريعها إلى شـيخ حركة أنصـار الدين الصوفية؛ أما الحقيقة التي لا مراء فيها فهي أن "صناديق شيوخ الطرق" تلعب دورًا مهمًّا في تمويل "الإعلام المُتصوف" وسد الفجوة بين إنفاقه وإيراداته(22) .

أخيرًا، وبعيـدًا عـن النظريات المؤكِّـدة على علاقة وسائل الإعلام بالعملية الديمقراطية والديناميات الدينية الاجتماعية، فإن "الإعلام المُتصـــوف" لا يشـــكِّل على المدى المنظور تهديدًا لتوازن أُمَمِ غرْبِ إفريقيا ولُغات شـــعوبها وأعْراقها وتدفق المذاهب الفقهية إلى المنطقة، وبالدرجة الأولى فإن مسألة التكافؤ في الآراء قـــد تطرح بالنسبة للمنابر الإعلامية إشكالات مُؤرِّقة على المدى البعيد نسـبيًّا حيث تنبني النظم والقوانين المعمول بها في معظم بلدان المنطقة على قواعد تفـــــرض الإنصـاف الإعلامي وتعكس الحاجة إلى تسـويق خطابات الأعراق والقبائل الأصـلية والمجتمع المدني على قدم المسـاواة، وهو ما يتناسب أيضًا ودعوات النهضة والإحياء الثقافي التي تروج لها الصفوة من أبناء الشعوب الإفريقية .

مراجع

(1) ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008)، ص 80.

(2) لَمْرَابَطْ مصدرها هو المُرابطون الذين شكّلوا الدولة المرابطية ما بين 1056-1147 للميلاد ولكن وصف أمْرَابَطْ (Marabout) أو لَمْرَابَطْ (Lemrabout) فهو مصطلح يُطلق في منطقة الغرب الإفريقي على الشيخ الذي يؤمّل منه الاحترام والحكمة والورع أو أن يكون معلّمًا للقرآن الكريم وعلومه، وسيلاحظ القارئ استعمالنا لهذا التعبير طيلة المقال، وتقابلها باللغة الولفية كلمة السيريرْ التي سيجري تناولها في المقال أيضا كلقب للزعماء الصوفية في إفريقيا.

(3) حالة التحول الديمقراطي في إفريقيا: رؤى تقويمية، موقع قراءات إفريقية، 23 يونيو/حزيران 2016، (تاريخ الدخول: 20 أغسطس/آب 2018): https://goo.gl/J1iwcf

(4) - Moustapha Sow, Médias et pouvoirs politiques au Sénégal: étude de la transition d'une presse d'État vers un pluralisme médiatique, Thèse de doctorat en sciences de l'information et de la communication, (Université de Lorraine, *école doctorale Fernand-Braudel*, 2016), p. 89.

(5) اللهجة الولفية هي لهجة منتشرة بغرب إفريقيا منسوبة لعرقية الولوف، ويتداولها حوالي 80 بالمئة من السكان السنغاليين، وتهيمن الثقافة الولفية على ثقافات المجموعات العرقية السنغالية الأخرى كالفولانية والسوننكية والسيرير..إلخ.

(6) قال الخليفة العام للطريقة التجانية، اسيرِنْ امْبَايْ سي منصور، في كلمة موجهة إلى أتباع الطريقة التجانية: إنه لا توجد ولاية رئاسية إلا ووراءها الثانية، واعتُبِر ذلك دعمًا للرئيس السنغالي، ماكي صال، وتأكيدًا على حتمية فوزه.
Voir le site rewmi, "Deuxième mandat de Macky": Serigne Mbaye Sy corrige, publié Le 29 novembre, 2017, vu le 26 aout 2018:
http://www.seneweb.com/news/Societe/laquo-deuxieme-mandat-de-macky-raquo-ser_n_232435.html

(7) هذا هو رابط قناة تيفاوان على اليوتيوب:https://www.youtube.com/channel/UCQz4L6by2aTz9Uvv_EI06Lg

(8) هو الشيخ السعيدي، الحاج مالك بن عثمان بن دمْبا بن شمس الدين سي، عاش ما بين (1855- 1922). تنقل في حياته ما بين موريتانيا والسنغال ولديه تآليف معروفة في التصوف والفكر الديني بصفة عامة، من بينها: "إفهام المنكر الجاني" وفيه ذود عن الطريقة الصوفية التجانية، وله العديد من الدواوين الشعرية باللغة العربية الفصحى وباللُولفية كذلك، ويعد أحد أهم نوابغ عصره حيث اشتُهر في السنغال وفي بقية دول إفريقيا السوداء على وجه التعميم.

(9) 9 - تذهب الباحثة أدريانا بيغا في كتابها "دكار والأوامر الصوفية" إلى أن مؤسس المُريدية يعد أحد أكبر المدافعين عن ثقافات الزنوجة "Négritude" في بداية حياته الحركية والعلمية، انظر:
Piga Adriana, Dakar et les ordres soufis. Processus socio-culturels et développement urbain au Sénégal contemporain, (L'Harmattan, Paris, 2002), p. 224

(10) خصص الرئيس السنغالي الحالي، ماكي صال، يوم 30 من نوفمبر/تشرين الثاني من كل سنة عطلة مُعوَّضة في جميع أنحاء السنغال، كما سبق لغريمه السياسي والرئيس السنغالي السابق، عبد الله واد، أن أقام إلى جانب الخليفة العام للطريقة المريدية خلال الحملتين الانتخابيتين لسنتي 2007 و2012 في مسعى للاستفادة من الحجم الناخب للطائفة المريدية مستغلًا في ذلك انتماءه لها حيث يعتبر أول رئيس مريدي يتولى سدة الحكم.

(11) – Voir: "Un pur juridisme aurait voulu que la liste présentée à Touba soit déclarée irrecevable", xalimasn, 20 mai 2014, vu le 20 Aout 2018:
http://xalimasn.com/un-pur-juridisme-aurait-voulu-que-la-liste-presentee-a-touba-soit-declaree-irrecevable-par-ndiaga-loum-professeur-duniverstite-quebec

(12) Voir: Ndiaga Loum et Ibrahima Sarr, "Les médias et la confrérie mouride au Sénégal", Revue Internationale de la Francophone, vu le 11 Aout 2018:https://revues.univ-lyon3.fr/rif/index.php?id=374

(13) التبشير الشيعي في مالي: من الذي يمول سعيد محمدو شعالا بيايا حيدرة؟
Voir: "Mali: Promotion du Chiisme au Mali: Qui finance Seid Chouala Bayaya Haïdara", 28 juin 2016, vu le 30 Aout 2018:
https://maliactu.net/mali-promotion-du-chiisme-au-mali-qui-finance-seid-chouala-bayaya-haidara/

(14) ", niarela, vu le 30 Aout 2018: "La Radio et la Télévision Zahara de Chouala Bayaya fermées
https://niarela.net/religion/mali-la-radio-et-la-television-zahara-de-chouala-bayaya-fermees

(15) انظر: العلوي، الحسين الشيخ، "صراع الإرادات السعودي-الإيراني في منطقة الساحل وغرب إفريقيا"، مركز الجزيرة للدراسات، 24 نوفمبر/تشرين الثاني 2017، (تاريخ الدخول: 26 أغسطس/آب 2018):
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/11/201511191034176386 18.html

(16) لمعرفة المزيد من التفاصيل حول هذه الطريقة التي تجمع إرث الطريقة الصوفية التجانية إلى جانب بعض الأوراد العمرية بالإضافة إلى توجهات تنموية وتربوية، انظر:
Voir: "Chérif Ousmane Madani Haïdara et l'association islamique Ançar Dine, Un réformisme malien populaire en quête d'autonomie", Cahiers d'Études africaines, 2012, vu le 30 Aout 2018:
https://journals.openedition.org/etudesafricaines/17056

(17) تصريح لرئيس الهيئة العليا للاتصالات السيد اكُواسو أدْريبُو، يمكن قراءته عبر هذا الرابط:
Voir: "Mali : Plus de trente chaines TV privées diffusent au Mali sans autorisation", maliactu, 3 avril 2017, vu le 30 Aout 2018:
https://maliactu.net/mali-plus-de-trente-chaines-tv-privees-diffusent-au-mali-sans-autorisation

(18) إبراهيم أبو بكر كيتا يفوز بولاية رئاسية ثانية لمدة خمس سنوات.
انظر: "مالي: إبراهيم أبو بكر كيتا يفوز بولاية رئاسية ثانية لمدة خمس سنوات"، فرانس 24، 3 أغسطس/آب 2018، (تاريخ الدخول: 20 أغسطس/آب 2018):https://goo.gl/njY9qD

(19) تحمل العمامة دلالة كبرى لدى متصوفة تمبكتو وتجري مراسيم وضعها على شعر الرأس مصحوبة باسم الجلالة وفق طقوس روحية متوارثة لكن الذي يستلمها يجب أن تضفي عليه معاني الإجلال والإكبار وخاصة إذا رافقها ارتداء الجلابية البيضاء والعكاز الفخري الذي يكمل الرمزية الدينية للعمامة، كما حصل في الصورة مع الرئيس إبراهيم أبو بكر كيتا (تم تداول تلك الصورة الملتقطة، في 22 يوليو/تموز 2018، بكثرة في وسائط التواصل الاجتماعي المالية وغيرها).

(20) هو الشيخ أحمد حماه الله الملقب بأمْرَابَطْ أنْيُورُو عاش ما بين (1881 وحتى 1943). كان في حياته مناوئًا للاستعمار الفرنسي في جمهورية مالي (السودان الفرنسي) لذلك تعرض للترحيل إلى موريتانيا ثم دول إفريقية أخرى عديدة قبل أن يتم نفيه إلى فرنسا التي توفي بها رسميًّا بينما لا يزال أتباع زاويته يعتقدون بإمكانية عودته إلى أنْيُورُو الساحل.

(21) لتتبع الأثر السياسي للشيخ محمدو ولد الشيخ حماه الله، الخليفة العام للزاوية الحموية، يمكن النظر في النماذج التالية من عناوين الصحف الموريتانية:
الشيخ محمدو ولد الشيخ حماه الله يستقبل الوفد الحكومي: https://www.aqlame.com/article33491.html
رئيس مالي يستميت في استرضاء ولد الشيخ حماه الله لإنقاذ موقعه في الانتخابات الرئاسية:https://rimtoday.net/?q=node/16134
الشيخ محمدو ولد الشيخ حماه الله غاضب من الرئيس الموريتاني:https://www.tawassoul.net/cgi-sys/suspendedpage.cgi
شيخ الطريقة الحموية يدعم التدخل العسكري في شمال مالي: https://www.kiffainfo.net/article2684.html

(22) Les médias et la confrérie mouride au Sénégal Op cit. Paragraphe 53.